الآلات الموسيقية في العصر الجاهلي

الآلات الوترية :

الآلات الوترية يحدثنا الفارابي عن وجود الطنبور، فالفارابي المتوفي سنة 950ميلادية يذكر أن الطنبور البغدادي أو الطنبور الميزاني المشهور في عصره كان ذا دساتين توافق دساتين الجاهلية. ويبدو أن العود كان شائعا جدا وكذلك يعرف بأسماء مختلفة مثل المزهر والكران والبربط والموتر.

فصائل العود

ولقد دخل العود في هذا العصر على يد " سليمان الفارسي " وشاع صيته واستعمله معبد، وابن سريج/ وسعيد بن مسجح، وابن جامع، وحبابه، وسلامة ، وغيرهم من المغنين والمغنيات.

وأطلق العرب على آلة العود أسماء مختلفة منها :

(ذو الزير)، (ذو العتب) و(المعزاف) و (المزهر أو الموتر) و(البربط).. وغيرهم من الأسماء .

البربط :

أطلقت هذه التسمية علي آلة العود البدائية , ذات الحجم الطويل .. والتي تداول استعمالها بصورة خاصة في بلاد فارس , إبان عهد شهبور الأول حوالي عام (_241- 271) ميلادية . ومن مزايا البربط أن الصندوق الصوتي وقبضة العزف كانتا مصنوعتين من قطعة واحدة منة الخشب , ومشدود عليها وتران يصر عنها أصوات غليظة .

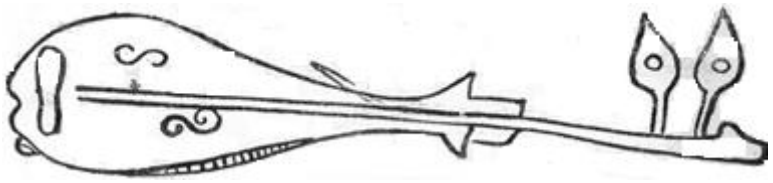

البربط

وقد سميت الآلة بالبر بط لما لها من تشابه بصدر البط , فكلمة (بر) في اللغة الفارسية معناها (صدر), (بط) هي نفس التسمية المتداولة في اللغة العربية بمعني (بط) .

وبمقارنة صناعة العود بالبربط نجد أن العود يصنع عادة من صندوق صوتي مستقل عن قبضة الأوتار , بينما أجزاء البربط تصنع جميعها من قطعة واحدة .

المزهر – الموتر :

آلة تقارب العود , يصنع هيكلها الصوتي من الجلد وليس من الخشب ,يشد علي المزهر وتران من سمك واحد , ومن النماذج الفريدة التي عثر عليها في العصور الوسطي من نوع العود ما وجد منقوشا بالخزف علي جدران آثار القرن الثامن الميلادي , وقد أدرج استعمال هذه الآلة في مكة عن طريق الشاعر نذر بن الحارث في نهاية القرن السادس الميلادي تقريبا.

الكيران :

من أنوع العود التي تداولت لدي العرب القدماء ما سمي (بالكيران) حيث كان يعزف مستندا علي صدر العازف , وقد تطرق امرؤ القيس الشاعر الجاهلي إلي ذكر هذه الآلة لما كانت لها من مزايا في مرافقة أشعار الهجاء والمديح والرثاء .

المعــازف :

تسميات أطلقت عيها قديما علي آلات ذات الأوتار المطلقة , مثل آلات (القانون – السيتار – الليرا – الهارب – الجنك أو الصنج)

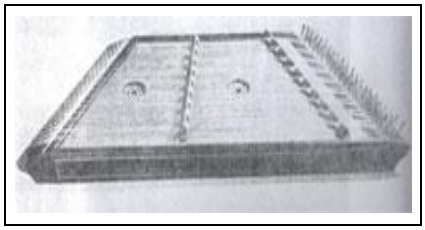

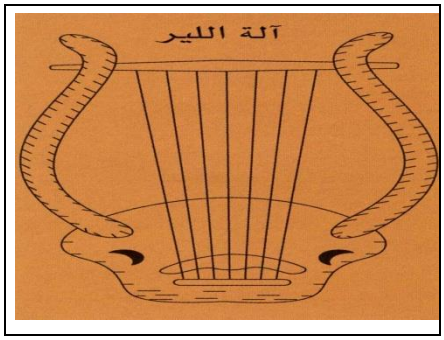

كانت المعازف لها خطوه بالغة لدي فطاحل الشعر العربي القديم , وتشير لأخبار الجاهلية إلي أن أول من صنع المعزفة (دلال) ابنة لامك بن نوح عليه السلام , من السلالة السابعة لسيدنا آدم .

وقد حدد لنا الفارابي المعاصر للقرن الميلادي في مؤلفه كتاب الموسيقي الكبير أن المعازف تعتبر فصيلة من آلة الهارب التي انتقلت من لدي قدماء المصريين وانتشرت في بقاع العالم , وبصورة خاصة في العصور الوسطي. كما أطلق علي هذه الآلة أسماء فارسية (صنج أو جنك) أما كلمة معزف أو معازف فهي تسميات عربية بحتة , وقد ذكرت آلة الصنج في أشعار الاعشي ميمون المتوفى عام (629) .

الربابــة :

آلة تداول استعمالها في العصر الجاهلي , حيث كانت تؤدي دورا هاما في مصاحبة أشعار المديح , والهجاء , والرثاء . ويقول علماء التاريخ الموسيقي أن آلة الكمان المستعملة حاليا في الفرق الموسيقية الشرقية والغربية قد صدرت عن هذه الآلة العربية القديمة , التي تعزف بطريقة احتكاك القوس بالأوتار .

وقد دخلت الربابة أسبانيا وأوروبا عن طريق الفتوحات الإسلامية منذ القرن الثامن الميلادي .

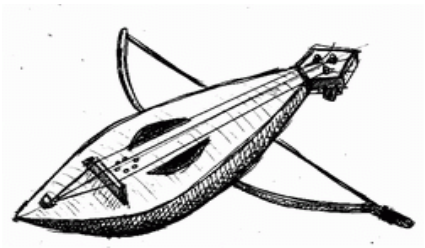

النوع الأول : ربابة ذات الوتر الواحد

كانت الربابة تصنع في بداية عهدها من هيكل صوتي مستدير من جلد الماعز يعزف عليه بعصا قصيرة مقوسة, مشدود عليها مجموعة من شعر الحصان , أو من ليف النخل , كما كان عدد أوتارها (وتر واحد) ينتج أربع أصوات , يطلق عليه رباب الشاعر لمصاحبتها أشعار وقصصا شعبية شبيهة بقصص أبو زيد الهلالي والزير سالم .
بمرور الزمن تبدل شكل الصندوق الصوتي لهذه الآلة بحيث أصبح على شكل مستطيل تقريبا بارز الزوايا ومقوس إلى الداخل ، وظل القوس نفسه والوتر الواحد نفسه كما يظهر في الشكل التالي.

ربابة الشاعر (ذات الوتر الواحد)

النوع الثاني : ربابة ذات وترين

أما النوع الثاني من الربابة فيشد عليه(وتران) مختلفان في الغلظة , يؤديان ما يقرب من ثمان نغمات . ونلاحظ عدم وجود أماكن لعفق الأصابع علي قبضة الربابة شبيها بالعود , لان العازف علي الكمان أو الربابة يستعين بأذن موسيقية حساسة لتحقيق اللحن في أسلوبه السليم .

هناك نوع آخر من الربابة يشد عليها وتران مختلفان في الغلظة، كل وتر يؤدي أربعة أصوات موسيقية ، مثل هذه الربابة موجودة حاليا في بعض الأقطار العربية ،

وقد تطورت صناعة الربابة في القرن الخامس عشر بفضل الغربيين , حتى أخذت شكل الكمان المستعمل حاليا في الاوركسترا في أحجام مختلفة , منها ما يعزف تحت الذقن باسم الفيولا أو الفيولين ومنه ما يستند بين الساقين تحت اسم تشيللو ومنها ما يعزف وقوفا تحت اسم كونترباص .

ربابة الجوزة (ذات الوتران)

ـ طريقة ضبط الآلة :

للآلة وتران أحدهما يُسمى (القوال) وهو مُخصص لأداء الحركة اللحنية ، والآخر (الرداد) الذي يُمثل أرضية الألحان ويُضبط على أساس المقام ، وتسوى الأوتار عادة على بُعد رابعات أو ثالثات كبيرة ، وقد تسوى الربابة على بعض الآلات الموسيقية الثابتة (كالسلامية أو المزمار) إذا كانت تعزف معهم المساحة الصوتية لآلة الربابة ، تنحصر المساحة الصوتية الصادرة من الربابة ذات الوترين في المنطقة الصوتية المبينة على المدرج الموسيقي التالي :

المساحة الصوتية للرباب ذات الوترين

وقد يتغير موضع هذه العازفة لأوتار ربابته [1] .

---

(1) فاطمة أحمد محمود : *" الفرق الموسيقية الشعبية في مصر "* ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للموسيقى العربية ، أكاديمية الفنون ، القاهرة ، عام 1992م ، ص 87 .

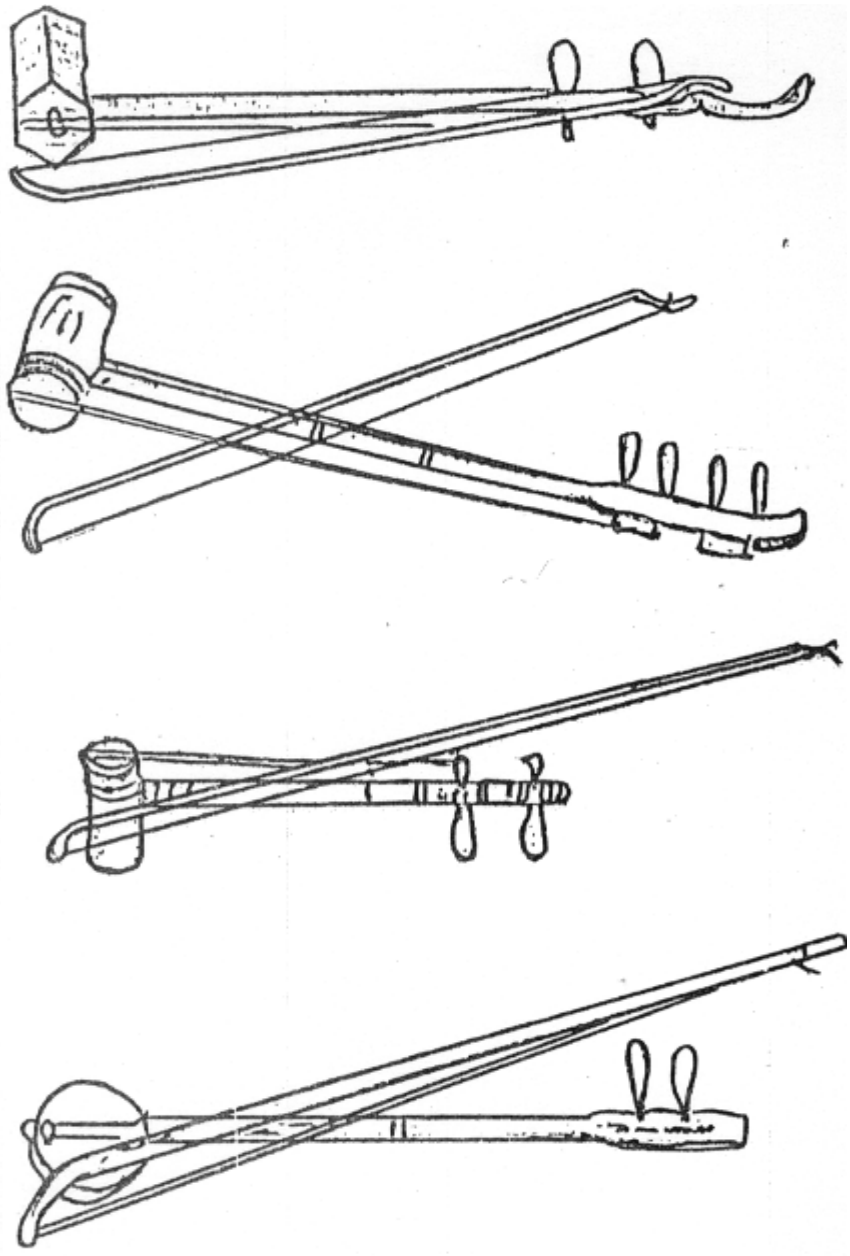

أنواع الرباب

الطنبور البغدادي :

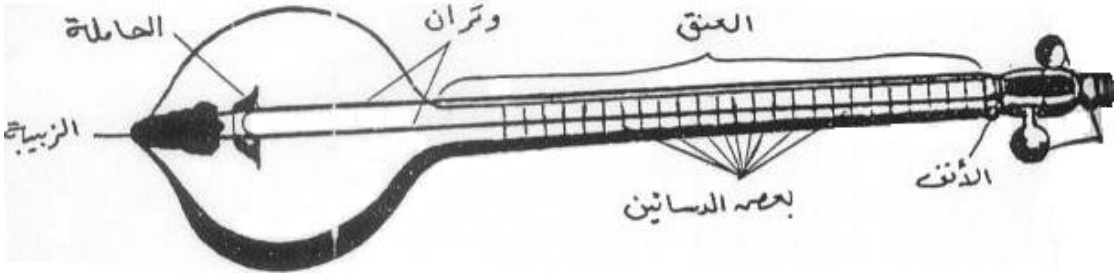

آلة وترية تتقارب مع العود في طريقة جذب الوتر بقطعة من العظم أريشة النسر , إلا أنها تختلف عن العود بصغر حجم الصندوق الصوتي البيضاوي الشكل , وبأن القبضة التي تشد عليها الأوتار تكون أطول وأقل سمكا من قبضة العود ,

يشد علي الطنبور عادة وتران معدنيان , كما يثبت فوق أماكن العزف علامات لتعيين مواضع عفق الأصابع علي الأوتار , وتسمي دساتين شبيهة بطريقة عزف آلة الجيتار الاسبانية .

تمتاز آلة الطنبور بصوت رقيق رنان تختلف نبراته عن نبرات العود, وقد عم استعمال الآلة بصورة خاصة في تركيا وسورية ولبنان , ومن الناحية التاريخية فقد ظهر هذا النوع من الطنبور أولا في بغداد ,

ولذلك أطلق عليه الطنبور البغدادي , لكونه يختلف في الشكل والحجم عن طنبور خراسان وعلي الرغم من أن الآلة صادرة من العراق إلا أن استعمالها حاليا في هذا القطر أصبح نادرا للغاية .

وقد شرح الفارابي في كتاب الموسيقي الكبير معلومات ثمينة عن أنواع الطنابير التي تداولت في العصر الجاهلي , وكذلك المقاييس الصوتية الناتجة عن هذه الآلات , والتي تعتبر من الأساسيات الأولي في تطبيق الأبعاد الموسيقية للسلم العربي.